شؤم المعصية

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كان السلف الصالح رضي الله عنهم، إذا نزل بأحدهم بلاء أو شكا من أمر من أمور الدنيا حل به، رجع في ذلك إلى نفسه، وعاد باللائمة عليها، وقال: لا بد أني قد أذنبت ذنباً، لا بد أني قد قصرت في حق الله تعالى، لا بد أني فرطت في جنب الله، ظلمت عبداً من عباد الله، ضيعت فريضة من فرائض الله، انتهكت حرمة من حرمات الله، فسرعان ما يرجع إلى ربه ويقرع بابه تائباً مستغفراً، ويقول ما قاله أبوه آدم وأمه حواء، حينما أخرجا من الجنة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذا شأن الإنسان المؤمن، إذا أصابه خير ردّ الفضل إلى الله، وقال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وإذا أصابه شر لم يلم إلاّ نفسه، ولم يتهم إلاّ نفسه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

هكذا كان شعارهم، وهكذا كان دينهم، هذاة هو شأن المؤمن، أن يرجع كل فضل إلى الله تبارك وتعالى، فهو صاحب الفضل والنعمة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وأن يرجع كل شر إلى نفسه.

كان بعض السلف رضوان الله عليهم يقول إني لأرى شؤم معصيتي في سوء خلق امرأتي ودابتي، يعني: إذا نكدت عليه امرأته، أو حرنت عليه دابته، يقول: لا بد أني قد ارتكبت معصية من المعاصي.

كل شيء كانوا يعودون به إلى شؤم المعصية، فللمعاصي آثارها الوخيمة في الدنيا والآخرة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق.

بعض الناس يظنون: أن شؤم المعاصي وعقوبتها مؤجل إلى الآخرة، وإلى حساب الله يوم القيامة، لا، هناك حساب في الآخرة، وهناك حساب في الدنيا، يعجل الله للناس بعض العقوبة في الدنيا، وخاصة إذا لم يعاقبوا العقوبات الشرعية فإن العقوبات القدرية لهم بالمرصاد.

هناك عقوبات شرعية على بعض المعاصي، هناك حدود وتعازير، هناك الجلد للزاني، الجلد للسكير، القطع للسارق، الإعدام لقاتل العمد، إلى آخر ما جاء به القرآن، وجاءت به السنة، وأجمعت عليه الأمة.

فإذا نفذت هذه العقوبات الشرعية، وأقيمت حدود الله في أرضه، كان ذلك أخف على الناس من العقوبات القدرية، ولذلك ورد في الحديث: «حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً»[1].

حدّ لله يقام بحقه على من يستحقه، وبعد استيفاء شرطه، أزكى وأبرك على الأرض من مطر أربعين صباحاً؛ لأنه لا خير في أن تمطر السماء، وتنبت الأرض، ويثمر الثمر، ثم يأكل هذا كله بعد ذلك: الزناة والسكيرون والعربيدون والفجرة الذين يظلمون الناس، ويهلكون الحرث والنسل، ويطغون في البلاد، فيكثرون فيها الفساد.

---

(١) الحديث روي بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، وهذا لفظ ابن ماجه برقم (٢٥٣٨)، ورواه النسائي (٨/ ٧٥، ٧٦) وابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن (١٥٠٧)، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٥٠، الحديث ١٣٩٦).

فإذا لم تقم الحدود، وإذا لم يعاقب المفسدون، إذا ضيّع الناس العقوبة الشرعية، فإن السماء تنزل عقابها على الناس.

إن العقوبات السماوية... العقوبات القدرية... العقوبات الكونية، لهم بالمرصاد، وإذا نزلت فإنها تنزل على الجميع، العقوبات الشرعية تخص فلا تصيب إلاّ من يستحقها، أما العقوبات القديرة السماوية فإنها تعم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

حينما ينزل البلاء، حينما ينزل شؤم المعصية على الناس، يصيب الجميع، الصالح والطالح، الطالح لطلاحه، والصالح لسكوته على المنكر، وعدم تغييره له، فإذا اشترك الناس في ترك المنكر، فإن الله يوشك أن يعمهم بعقاب من عنده.

المعصية شؤم على الناس، شؤم على الفرد في حياته، تصيبه بالقلق، تصيبه بالرعب، تصيبه بالأمراض، تصيبه بكل ما يعكر عليه صفوه، وما ينغص عليه عيشه، إنها (المعيشة الضنك) كما قال الله تبارك وتعالى حينما أنزل آدم وزوجه إلى الأرض: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وقد يعيش الإنسان هذه المعيشة الضنك، وعنده الآلاف والملايين، إن الضنك في نفسه، إن الضنك في صدره، إن هذا كله في داخله، يشكو منه رغم أن معه الآلاف والملايين، الرعب يملأ قلبه، يخاف من كل شيء، يخاف من الأمراض، يخاف من الموت، يخاف من المستقبل المجهول، يخاف من فقدان النعمة، يخاف من نزول النقمة، وهذا كله من شؤم المعصية.

إذا كنت في نعمة فارعها فإنّ المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد فربّ العباد سريع النقم

إن الناس عندما يشكرون نعمة الله ويستخدمونها في طاعته، فإن الله عز وجل يحفظها عليهم، ويزيدهم منها، أما إذا كفروا نعمته، إذا بطروا بها، إذا لم يؤدوا حقها، إذا أصبحت النعمة في أيديهم مصدراً للمعصية، وسبباً للإعراض عن الله، فإن الله سرعان ما يعاقبهم ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢] .

إن النعم إنّما أعطيت للناس ليستعينوا بها على طاعة الله، لتكون أداتهم للوفاء بحق الله وشكره، أما إذا استخدموها في المعصية، إذا آتى الله الإنسان المال فجعله سبباً في الفساد، إذا أتاه الصحة فاستمتع بصحته في الشهوات المحرمة، إذا آتاه العقل فلم يفكر به إلاّ في الشر، إذا أصبحت نعم الله على الناس وسائل لمعصيته، فإنهم لا يستحقونها، لا يستحقون أن تبقى هذه النعم عندهم، يجب أن تسلب منهم، وقد لا تسلب منهم فجأة، وإنما تسلب منهم رويداً رويداً، يذكرون بالنذر شيئاً فشيئاً، فإذا تذكروا، وإذا اتعظوا، وإذا انتبهوا من غفلتهم، وصحوا من سكرتهم، فإن الله جدير أن يقبل منهم، أما إذا سدروا في غلوائهم، وظلوا على كفرانهم، فإن النعمة جديرة أن تسلب منهم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧] .

إن الطاعة والاستقامة، والتقوى لله عز وجل، وهي التي تمنح الناس الحياة الطيبة في الدنيا، والأجر الحسن في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] .

وليست الحياة الطيبة كثرة المال ولا بالرفاهية، فقد كان الناس في هذه البلاد قبل عصر (البترول)، وقبل الملايين التي يعبث الناس بها اليوم، كانوا يعيشون عيشة طيبة، كانوا متعاونين في السراء والضراء، كانوا قانعين بالقليل،

راضين به، كانوا مطمئنين إلى حياتهم، كانوا يحب بعضهم بعضاً، كان يأمن كل واحد منهم أخاه على نفسه وماله وعرضه، كانت حياة طيبة، فماذا صنع الناس حينما تدفقت عليهم الثروات، ووسع الله عليهم في الرزق، وأفاء عليهم من فضله، وفجر الأرض تحت أقدامهم بالذهب الأسود، ماذا فعل الناس إزاء هذه النعمة؟ هل حفظوها؟ هل بقوا كما كانوا من قبل؟ أم أصبحنا نسمع ونرى ونقرأ، ما يصنعه أصحاب الثروات، الذين يلعبون بالملايين في بلاد الكفر، وينفقونها في الخمر والميسر والنساء؟ ضيعوا الأموال، وضيعوا الحقوق: حق الله وحق عباده، فضاعت كل شيء بعد هذا.

إن المعصية شؤم على الفرد، شؤم على الجماعة، شؤم على الناس جميعاً، شؤم على البهائم والكائنات الحية جمعاء، حتى قال أبو هريرة: إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم! وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتد القحط وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم!.

وللإمام ابن القيم كتاب عن (الداء والدواء)[1] ذكر فيه من الآثار السيئة للمعاصي ما يزيد على المائة، وهو كتاب ينبغي أن يقرأ، حذراً من عواقب المعصية وشؤمها في الدنيا قبل الآخرة.

ومن هنا ينبغي أن يرجع الناس إلى الله، وأن يقولوا كما قال الربانيون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] ، حينما أصاب الربانيون في القتال، وقتل منهم من قتل، لم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله، ولم يضعفوا، ولم يستكينوا، ولكنهم حينما دعوا الله ماذا قالوا؟ قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧] ، اتهموا أنفسهم، فيجب على الناس أن يتهموا أنفسهم، وأن يعلموا أن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، سنة من سنن الله لا تتبدل،

---

(١) وله عنوان آخر هو: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، وقد سبق التعريف به في ص ٣٨.

وقانون من قوانينه لا يتغير، اسمعوا قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

لو آمن الناس واتقوا واستقاموا، لتنزلت عليهم البركات من السماء ومن الأرض، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، هذا هو قانون الله الذي سجله في كتابه، اسمعوا معي هذه الآيات: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣] ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [الطلاق: ٦٥ ـ ٦٦] ، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦] .

هذا هو قانون الله: لو آمن الناس واستقاموا واتقوا، لتفتحت عليهم بركات السماء والأرض، ولازدادوا كل يوم من نعم الله، ولكن كذبوا، ولكن فجروا، ولكن كفروا بالنعمة، وبطروا بها، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، فجاءتهم النذر، نذر بعد نذر، تنبههم أن مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الأمر، يمكن أن يغير حالهم، لا تظنوا أن الأمور تجري كما تشاؤون، لا، هناك قدر أعلى، هناك من ينظم هذا الكون، هناك إله عظيم، يحكم لكل بما يستحق، وعلى كل بما يستحق.

فينبغي أن يتنبه الناس لهذه النذر، ينبغي أن يربط الناس بين ما يصيبهم وبين ما يصنعون، هذا هو شأن الإنسان المسلم، الإنسان الصادق مع نفسه، الصادق مع ربه.

إذا آمن الناس واتقوا، تنزلت عليهم البركات، إما إذا لم يؤمنوا ولم يتقوا، فلن تتنزل عليهم البركات، وإنما تتنزل عليهم اللعنات، فالمعصية ليس وراءها إلاّ اللعنات.

لقد لعن الله في كتابه أناساً من الناس، لعن الذين يفسدون في الأرض،

ويقطعون أرحامهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]، لعن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب[١]، لعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات[٢]، لعن كثيرين من أهل المعاصي، لعن الظالمين ﴿... أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] . ، لعن الكاذبين: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] .

ولعن رسول الله ﷺ فيما صح عنه من الأحاديث كثيرين، لعن شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، لعن فيها عشرة[٣]، لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه[٤]، لعن الواصلة والمستوصلة[٥]، والواشمة والمستوشمة[٦] والنامصة والمتنمصة[٧]، والمغيرات خلق

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

(٣) روى أنس رضي الله عنه: «لعن الرسول ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وأكل ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له» رواه ابن ماجة، والترمذي واللفظ له، وقال: غريب من حديث أنس، وقد روى نحو هذا عن ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر عن النبي ﷺ، فالحديث صحيح بشواهده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٥٢، الحديث ١٤٠١).

(٤) روى جابر رضي الله عنه: «لعن النبي ﷺ: آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء» رواه مسلم وغيره (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٣٤، الحديث ١٠٥٦).

(٥) الواصلة: التي تصل الشعر بشعر النساء، والمستوصلة: المعمول بها ذلك.

(٦) الواشمة: التي تغرز اليد أو الوجه بالإبر، ثم تحشى ذلك المكان بكحل أو نحوه، والمستوشمة: المعمول بها ذلك.

(٧) النامصة: التي تنقش الحاجب حتى ترقه، والمتنمصة: المعمول بها ذلك، وقد ورد ذكر هؤلاء في حديث لابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعنت الواصلة والمستوصلة، =

الله، لعن الراشي والمرتشي والرائش[1]، لعن ولعن عشرات من الناس، تنظر إليهم فنراهم حولنا، بل لو نظرنا إلى أنفسنا، لو نظر كل منا إلى نفسه، لوجدها بوجه من الوجوه، تستحق شيئاً من هذه اللعنات والعياذ بالله.

فما الحال في أمة ملعونة، مجتمع تتنزل عليه لعنات الله، ويحرم من بركات السماء؟.

إن على الناس أن يعلموا أن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، وإن الله لا يغفل عما يفعل الظالمون، وعما يقترفه العاصون، ولكنه يمهلهم، ثم يذكرهم، يذكرهم ببعض العقوبات كما قال عز وجل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] في كل مكان، في القرى والمدن، في الشرق والغرب، في الداخل وعلى السواحل، الفساد هو العقوبات

= والنامصة والمتنمصة، والواشمة والمستوشمة من غير داء» رواه أبو داود وغيره، وهذا الحديث وما في معناه، يدل على تحريم الشعر الصناعي، الذي يسمى في عصرنا: (الباروكة)، ويستثنى منه ما إذا أصاب المرأة ما يشوهها ويؤذيها، كالصلع أو ما يقرب منه، نظراً للضرورة، وانتفاء التدليس والله أعلم، كما يقاس على قوله: «من غير داء» عمليات التجميل لغير حاجة موجبة، بل لزيادة الحسن، نقلاً عن تعليق الشيخ على الحديث ١٢٢٩، في كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب، ٥٩١ ـ ٥٩٢) بتصرف.

(١) الراشي: هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى الباطل: والمرتشي: آخذ الرشوة، والرائش: هو الذي يسعى بينهما، وورد ذكرهم في حديث لأبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ: الراشي، والمرتشي في الحكم» رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير ورجاله ثقات، وزادوا: «والرائش»، وهذا الحديث وما شابهه يدل على القاعدة الإسلامية: إن الإسلام إذا حرم شيئاً حرم كل ما يفضي إليه ويساعد عليه، وانظر: (المنتقى: ٢/٦١٨، باب: ترهيب الراشي، والمرتشي، والساعي بينهما).

الإلهية: الغلاء، البلاء، المرض، القحط، الخوف، الرعب. بماذا؟ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] أي: أن هذا إنما ينزل بسبب معاصي الناس وذنوبهم، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١] : إنه لا يجازيهم بكل ما عملوا، وإلاّ لزلزل بهم الأرض، أو أنزل عليهم كسفاً من السماء، أو أغرقهم بطوفان، إن الله لا يؤاخذ بكل الأعمال، ولا بكل الذنوب، بل ببعضها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١] ، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] ، حتى الشوكة تشاكونها، هي بسبب ما كسبت أيديكم: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] : لا يحاسب على كل شيء، ولا يؤاخذ بكل شيء.

لا بد أن يسأل الإنسان نفسه: لماذا أصابني ما أصابني؟ كما سأل الصحابة أنفسهم بعد غزوة أحد، حينما خالفوا ما أمرهم به النبي ﷺ، وتركوا ظهرهم للمشركين، فكان أن قتل سبعون من خيارهم، فلما سألوا أنفسهم ردّ عليهم القرآن: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥] .

هكذا ينبغي أن نحاسب أنفسنا أيها الإخوة المسلمون. ينبغي أن ننظر فيما حولنا، وفيما جد من أمورنا، فنقول: ماذا حدث؟ ما الذي جرى؟ ما هذه المقادير السريعة التقلب؟ أي شيء صنعناه؟ هل نحن ملائكة مقربون وعاقبنا القدر بما لا نستحق؟ أم فرطنا وقصرنا وخالفنا؟ وهل تكفينا هذه النذر لنرجع ونصطلح على الله، ونضع أيدينا في يد الله؟ أم سنظل في الطريق الشيطاني سائرين؟.

إنها فرصة للتوبة، وقد قال الصحابة رضي الله عنهم: ما نزل بلاء إلاّ بذنب، ولا رفع إلاّ بتوبة.

إن العالم كله الآن يشكو الثمر المر، من جراء الانحراف عن القيم الدينية

والخلقية، التي جاء بها الأنبياء وعلى رأسهم خاتمهم: محمد ﷺ.

نشرت الصحف في الآونة الأخيرة: ما يشكوه الناس في أوروبا وأمريكا، من أمراض جنسية تناسلية تهدد البشر، نتيجة الفوضى الجنسية، أو ما سموه: (الثورة الجنسية) التي ظهرت في الستينات، واستباح بها الناس كل شيء، واعتبروا العلاقة بين الرجل والمرأة كلاً مباحاً، فكانت النتيجة ما يشكونه اليوم: مرض يسمى (الإيدز) يهدد الجميع، الملايين من البشر رجالاً ونساءً في أمريكا مصابون أو مهددون بهذا المرض، الذي يفقد الناس المناعة، وأمراض أخرى تجعلهم معرضين للسرطان، سرطان المرأة في عنق الرحم، والرجل في البروستاتا، وأمراض أخرى كثيرة تهدد هؤلاء، وتنتقل بالعدوى، وهذا المرض الذي يسمى: (الإيدز) يمكن أن ينتقل عن طريق نقل الدم، ولم يجدوا له ـ حتى الآن ـ أي: دواء.

أمراض معضلة أصابت الناس نتيجة انحرافهم، وهذا يؤكد لنا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢] ، وقول النبي ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلاّ فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»[1]، الطاعون يشير إلى الأوبئة الجماعية، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، أمراض لم يعرفها من قبلهم، إنما هي أمراض نتيجة الإباحية.

ومن العجب أن هذه الإباحية التي يشكو منها الغرب اليوم، تنتقل إلى بلادنا، لا ننقل عن القوم العلم، ولا التكنولوجيا، ولا حسن التنظيم، إنما ننقل عنهم أسوأ ما عندهم ندع خير ما عند القوم، وننقل شر ما عندهم، أرأيتم أين نحن أيها المسلمون؟.

---

(١) رواه ابن ماجه ـ وهذا لفظه ـ والبزار والبيهقي من حديث ابن عمر، ورواه الحاكم أيضاً، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان: ٣٩٩، ١٤٣٣).

إلى متى نظل على هذه الحال؟.

قد جاءتنا النذر فهل نفيق؟ هل نرجع؟ هل نتوب؟ هل نقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

نرجو أن نكون كذلك، اللهم اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين واستغفروا ربكم، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

أحب أن أنبه أخواتنا المصليات تنبيهاً لا بد منه:

إنه ليسرنا أن تحرص المرأة المسلمة على الصلاة، ولا بأس أن تحضر المساجد لتشارك في العبادة، وتستمع إلى الموعظة، فالمرأة نصف المجتمع، ومن حقها أن تنفقه في دينها، وأن تتذكر ما يجب عليها، والذكر تنفع المؤمنين، ولقد قال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1].

وإني من الذين يدعون أن يكون في كل جامع من الجوامع، مكان للمرأة المسلمة تصلي فيه، وتنتفع فيه بالعلم كما ينتفع الرجال، وبخاصة أن فقهاءنا قالوا: إن المرأة التي لا تذهب إلى المسجد يجب على زوجها أن يعلمها، ويجب على أبيها أن يفقهها، حتى يمكنها أن تستغني بالبيت عن المسجد، ولكن إذا كان الزوج غير قادر على التعليم، وكان الأب غير قادر على التفقيه، فمن أين تتعلم

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر، وأبو داود من حديث أبي هريرة وسنده حسن، وهو في الموطأ، وتتمة الحديث عند أبي داود: «وليخرجن تفلات» أي: غير متطيبات (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط ٣/٤٣٨، الحديث ٨٦٠).

المرأة وتتفقه في دينها؟ فقد مضى زمن كان الرجل في حاجة إلى من يعلمه ويفقهه، وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضل من كانت العميان تهديه!.

وهناك تنبيه خاص بالأخوات المصليات، ففي الحديث الصحيح: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت ـ والإمام يخطب ـ فقد لغوت»[1]، أذهب أجره وأبطل ثوابه، حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجوز؛ لأن كل إنسان إذا أعطى نفسه الحق في أن يأمر وينهى، لم يكن من وراء ذلك إلاّ الضجيج والتشويش، فأولى بكل إنسان أن يسكت.

فلا يجوز لأخواتنا المؤمنات، اللاتي يحضرن إلى المسجد، أن يشوشن على أخواتهن.

إن للمساجد آداباً، وإن للجمعة آداباً، وإن لهذه الأماكن حرمات، فينبغي أن نصونها، ونسعى إليها.

شيء آخر أريد أن أنبه عليه: وهو أن المسلم كلما ذهب مبكراً إلى صلاة الجمعة، كان ذلك أفضل له عند الله، وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدى بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر»[2]، أي: طووا سجل الدوام، ومن

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة وقوله: «لغوت» قيل معناه خبت من الأجر، وقيل: تكلمت، وقيل: أخطأت، وقيل: بطلت فضيلة جمعتك، وقيل: صارت جمعتك ظهراً، وقيل غير ذلك (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٤٧، الحديث ٣٧٧).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجة، وابن خزيمة في صحيحه بنحوه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ١/ ٢٤٥، الحديث ٣٧٤)، والثواب المذكور في الحديث هو ثواب التهجير أو التبكير إلى صلاة الجمعة؛ لأنه من المسارعة في الخيرات، ومن المؤسف أن كثيراً من المسلمين لا يحصلون يوم الجمعة على شيء من الثواب المذكور، لا بدنة ولا حتى بيضة، فهم يأتون المسجد والإمام يخطب، وربما في الخطبة الثانية، وربما=

جاء بعد ذلك جاء متأخراً.

ومن جاء متأخراً والإمام يخطب، فعليه أن يصلي ركعتين خفيفتين، صحيح أنه سيحرم من الخطبة، أو من بعضها، ولكن هو الذي أساء إلى نفسه بالتأخير، وقد قال النبي ﷺ لمن جاء متأخراً وهو يخطب: «أصليت»؟ قال: لا، قال: «فصل ركعتين»[1]، قال ذلك لسليك الغطفاني[2]، وأمره أن يتجوز فيهما، أي: لا يطيلهما.

هذه بعض آداب الجمعة، نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في ديننا، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشداً.

اللهم اجعل يوماً خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى، واجعلنا من حزبك الغالبين، وجندك الصادقين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

= تحمل كثير من الخطباء تبعة هذا التأخير؛ لأنهم لا يقولون للناس شيئاً ينفعهم، غير أن المكث في المسجد عبادة في حد ذاته، فالمرء في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، وانظر: الترغيب في التبكير إلى الجمعة وما جاء فيمن يتأخر عن التبكير من غير عذر، من كتاب: (المنتقى: ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والشافعي، وأحمد، والترمذي (شرح السنة) للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط (٤/ ٢٦٣).

(٢) ورد اسمه في رواية عن جابر قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو ـ أي النبي ﷺ ـ يخطب، فجلس، فقال له: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما» ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب، فليركع ركعتين وليتجوز فيهما» أخرجه مسلم (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط ٤/ ٢٦٤).

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين في سائر البلاد يا رب العالمين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] .

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

* * *

obeikandl.com